جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

مسالك اللغويين العرب في معالجة ظاهرة الاقتراض اللغوي

الدكتور
عمر مسلّم العكش
جامعة عجمان

العدد الثاني والعشرون
للعام ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م
الجزء الثاني
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٨م
الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

المبحث الأول

أقسام الدخيل

مفهوم الدخيل لغة واصطلاحاً:

تتفق المعاجم العربية القديمة والمتأخرة حول مدلول هذا الأصل اللغوي، يقول ابن فارس في تحديد أصل دلالة كلمة " الدخيل ": " الدال والخاء واللام أصل مطّرد منقاس، وهو الولوج. يقال: دخل يدخل دخولاً... وبنو فلان في بني فلان دخيل: إذا انتسبوا معهم... ودخيلك: الذي يداخلك في أمورك"(١). ويشير ابن فارس إلى اختلاف الدَّخيل عن الأصيل بقوله: " والدَّخيل كالدَّغل، وهو من الباب، ثم يقول في مادة (دغل): أدغل في الأمر، إذا أدخل فيه ما يخالفه" (٢).

وفي اللسان: " ودخيل الرجل، الذي يداخله في أموره كلها، فهو له دخيل"(٣). وفي الصحاح: " دخيل الرجل ودُخَالُه: الذي يداخله في أموره ويختص به. وفلان دخيل في بني فلان إذا كان من غيرهم فيدخل فيهم، والأنثى دخيل". فالدخيل هو: ولوج ذي أصل غريب في أصل آخر يخالفه، وهو بهذا الاعتبار طارئ على ما سواه مجتلب إليه.

ولم يشع الدَّخيل في اللغة مصطلحاً متفقاً عليه بين اللغويين العرب، بهذا التعيين الدقيق، فقد أطلقوا على المفردات الأجنبية التي دخلت في اللغة العربية أسماء " الدخيل والمعرَّب والمولَّد والمُحْدَث ".

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق : عبدالسلام هارون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٦٨ هـ ، مادة (دخل) ومادة (دغل)

(٢) السابق : مادة (دغل) .

(٣) لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، مادة (دخل) .

وحظي الدَّخيل باهتمام علماء اللغة منذ وقت مبكر، ونصّوا على استعمال مصطلح الدخيل صراحة في تضاعيف كتبهم التي تعرّضت له، وبدأ يُعْرف في العربية الفصحى ويسمَّى مقروناً بالأعجمي والمعرَّب والمولّد، من ذلك قول الجواليقي: " الغبيراء هذا الثمر المعروف. دخيل في الكلام"(١). وقول الشهاب الخفاجي من بعده: "بَبْر : جنس من السباع دخيل في كلام العرب " (٢)

وفي اللسان عن ابن سيده: " الطومار والطامور: الصحيفة، قيل: هو دخيل " (٣). وقد تخصصت ظاهرة الدخيل عند الجواليقي والخفاجي وغيرهما فبدت مقتصرة على نماذج من الكلام، كقول أبي منصور الجواليقي في مقدِّمة كتابه " المعرَّب ": " هذا كتاب نذكر فيه ما تكلَّمت به العرب من الكلام الأعجمي، ونطق به القرآن المجيد، وورد في أخبار الرسول ﷺ والصحابة والتابعين، رضوان الله عليهم أجمعين، وذكرته العرب في أشعارها وأخبارها، ليعرف الدخيل من الصّريح، ففي معرفة ذلك فائدة جليلة، وهي أن يحترس المشتق فلا يجعل شيئاً من لغة العرب لشيء من لغة العجم " (٤).

وشبيه بهذا قول الخفاجي في " شفاء الغليل ": " ومنه ما نقل وكثر دوره على ألسنتهم وهم يلحقونه بأبنيتهم إلا ما ندر وإذا شذَّ العربي القحَّ فما بالك بالدخيل" (٥).

---

(١) المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، الجواليقي، ط٣، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥ ، ص ٢٨٤ .

(٢) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، الخفاجي ، مكتبة الحرم الحسيني، القاهرة، ١٩٥٢ ، ص ٤٠ .

(٣) اللسان (طمر). وانظر مواده: همق وبرق وبرجد وبنج ورين وصنج وفرند.

(٤) المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، الجواليقي، ط٣، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥ ، ص: ٥١ .

(٥) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، الخفاجي ، مكتبة الحرم الحسيني، القاهرة، ١٩٥٢ ، ص ٥١٠ .

ودرج المتقدّمون على تسمية الدخيل بالأعجمي، لأنّ الأعجمي في عرف القدماء ضدّ العربي، أو كل ما ليس بعربي، والدخيل أعجمي الأصل لكونه صدر ابتداءً عن أولئك الأعاجم، ومن هنا كان ما ذكره السيوطي عن ابن سَلاَّم حيث قال: " ...إنّ هذه الأحرفَ أصولها أعجميّة كما قال الفقهاء، ولكنّها وقعت للعرب فعرَّبتها بألسنتها وحوّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها" (١) .

ويورد الشهاب الخفاجي اللفظتين : " الدخيل " و "الأعجمي" في معنى واحد على أنهما تؤديان الغرض نفسه بلا فرق بين المفهومين، يقول: "لا تجتمع الصّاد والجيم في كلام العرب، فالجصّ والصنجة والصولجان، وعربيته : المحجن: معرَّبة. ولذا قال الجوهري: " الإجّاص دخيل في كلام العرب " إلى أن قال: " وبسْت، لبلدة، أعجمي" (٢). ونجد مثل ذلك في لسان العرب، حيث قال: "البخت والبخيتة، دخيل في العربيّة، أعجمي معرَّب" (٣).

فالقدماء قد اصطلحوا على تعريف الدخيل بالأعجمي وساوَوْا ورادفوا بين المصطلحين متفقين على وحدة الدلالة للدَّخيل والأعجمي، وقد يقبل أيضاً مثل هذا التوسّع والترخص بضم " المعرّب " إليهما على التعميم أو التغليب لكون المعرَّب دخيلاً أو أعجمياً في الأصل، أي قبل أن يعرّب، فأبو منصور الجواليقي عنون لكتابه بـ "المعرّب من الكلام الأعجمي"، تبعه الخفاجي بكتاب سمّاه "شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدَّخيل". ومضمون الكتابين واحد، وإنّ مقدمة كتاب الخفاجي تنطوي على مثل هذه الدلالة حيث يقول: "فهذا كتاب جليل جمعت فيه ما

(١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ١٦٨، وانظر المزهر في علوم اللغة للسيوطي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ، ج١، ص٢٦٨ وما بعدها.
(٢) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، الخفاجي ، مكتبة الحرم الحسيني، القاهرة، ١٩٥٢ ، ص ٧ .
(٣) اللسان /بخت، والبخت (بالضم): نوع من الإبل.

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

في كلام العرب من الدخيل، دعاني إليه أنّ المعرَّب ألّف فيه قوم منهم من لم يحم حول ناديه، ومنهم مَنْ دقق في التخريجات الغريبة، وأتى في أثناء ذلك بوجوه عجيبة، وكتاب أبي منصور، روَّح الله روحه وأجزل في منازل السعادة فتوحه أجلَّ ما صنف في هذا الباب" (٤).

فقد وضع الخفاجي المعرّب والدَّخيل على قدم المساواة، وذهب إلى مثل ذلك السيوطي حيث قال: " .... أعجمية باعتبار الأصل، عربيّة باعتبار الحال، ويطلق على المعرّب دخيل، وكثيراً ما يقع ذلك في كتاب العين والجمهرة وغيرهما" (١).

ونلاحظ أنّ علماء اللغة لم يفرّقوا بين مصطلحي الدَّخيل والمعرّب في أثناء تعرّضهم للأمثلة التي ذكروها في كتبهم، من ذلك قول الجواليقي: "الجرم: فارسي معرّب، وهو نقيض البرد، وهما دخيلان" (٢). وقوله: " المصطكا: مقصور. قال ابن الأنباري: وهو ممدود: علك رومي. وهو دخيل" (٣). ففي القول الأول استخدم لفظة معرَّب، ثم قال: وهما دخيلان، ونصَّ في القول الثاني على أنّ "المصطكا" دخيل من الرومية.

---

(٤) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، الخفاجي ، مكتبة الحرم الحسيني، القاهرة، ١٩٥٢ ، ص ٢ .

(١) المزهر في علوم اللغة، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرين، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦م : ص : ٢٦٩/١ .

(٢) المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، الجواليقي، ط٣، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥ ، ص ١٤٤ ، وانظر : اللسان/ج ر م : عن الليث .

(٣) المصدر السابق : ٣٦٨ ، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، الخفاجي ، مكتبة الحرم الحسيني، القاهرة، ١٩٥٢ ، ص ٢٠٦ .

وبهذا التصور استخدم الجواليقي مفهوم "الدَّخيل" في كتابه " المعرّب". وجاء الخفاجي من بعده فقال: (سطل، ويقال" سيطل، قال الزبيدي: صوابه سيطل، وقيل هو دخيل معرّب" (٤) . وقد وسم القدر الأعظم من الألفاظ غير العربية – بالمعرّب أو الأعجمي.

وما ورد من أمثلة وشواهد أخرى في اللسان والجمهرة والمحكم وتاج العروس تدلّ على الخلط أو المساواة بين المعرّب والدَّخيل، في النظرية والتطبيق، وقال الزبيدي: "وأمّا المعرَّب فهو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها. قال الجوهري في الصحاح: تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوّه به العرب على منهاجها، تقول: عرَّبته العرب وأعربته" (٥).

وهكذا يبدو المعرّب في تدرّج دلالته من الإعراب والإفصاح إلى التعريب بنقل الألفاظ من العجمية إلى العربية بالإلحاق والتغيير، ثم يتسع ليدخل في نطاق البحث في المعنى وتوافق اللغات. ويبدو تعريف الجواليقي القول الأقرب إلى الحقيقة في هذا الصدد حيث تقول: " هذه الحروف – أي الألفاظ– بغير لسان العرب في الأصل، فقال أولئك على الأصل، ثم لفظت به العرب بألسنتها، فعرّبته، فصار عربيّاً بتعريبها إيّاه، فهي عربية في هذا الحال، أعجمية الأصل" (١).

وجلّ ما نقلوه في هذه الفترة كان من الفارسية، وأقله كان من الرومية، وأقلّ من ذلك كان من الحبشية.

---

(٤) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، الخفاجي ، مكتبة الحرم الحسيني، القاهرة، ١٩٥٢ ، ص ١١٩ .

(٥) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي ، نشر وزارة الإرشاد، الكويت، ١٩٦٥م.

(١) المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، الجواليقي، ط٣، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥ ، ص ٧٤ .

فممّا اقتبسوه من الفارسية: الكوزُ والجرَّة والسّنجاب والدِّيباج والسندس والياقوت والبِلَّوْر والفُلْفُل والزَّنجبيل والقرفة والجُلَّنار والياسَمِينُ والمِسْكُ والقرنفل.. وغير ذلك.

أمّا ما أخذوه من الرومية فكلمات مثل: الفردوس والبطاقة والقنطار والقسطاس والبطريق... بينما أخذوا من الحبشية: المشكاة.

والمولَّد:

ما عرّبه المولَّدون الذين لا يحتج بألفاظهم، والمولَّدون هم الأجيال الأولى التي ولدت في صدر الإسلام.

والمولّد في العربيّة أكثر من المعرّب، وذلك بسبب اختلاط العرب بشتّى الأمم بعد الإسلام، وأخذهم عنهم الكثير من العلوم والفنون والآداب والعادات وغيرها.

فمن الرومية اقتبسوا بعض أسماء العقاقير مثل : البقدونس والزيزفون والأفسنتين (٢)، وبعض الاصطلاحات الفلسفية ونحوها مثل: الفلسفة والقاموس والقانون والطلسم والهُيولَى ، وبعض المصنوعات والأدوات مثل الصابون والإنبيق (٣).

كما نقلوا عن الفارسية بعض أسماء العقاقير مثل: البابونج والبَنْج والزَّرنيخ، وبعض الاستعمالات الطبية مثل: مارستان، وأسماء المصنوعات والأدوات مثل: الأسطوانةِ والبوتقةِ والبِرْكار..

---

(٢) الأفسنتين: نبات ذكي الرائحة، مرّ الطعم، ورقه كورق السعتر.

(٣) الإنبيق: ج أنابيق: آلة للتقطير.

والمُحْـــــدَث:

ما عرَّبه مَنْ عاشوا بعد المولّدين إلى أيامنا هذه، ويسمّى (عاميّــا) تمييزاً له من المولَّد. غير أن تمييز المولَّد من المحدث يبدو في أكثر الأحيان على جانب من الصعوبة، وذلك لعدم الاتفاق على سنة معينة ينتهي عندها عصر المولَّــدين، ويبدأ بها عصر المُحْدَثين، ولصعوبة معرفة الوقت الذي ظهرت فيه الكلمة المولّدة أو المُحْدَثة، ومع ذلك فهناك ألفاظ كثيرة لا شكّ في كونها من المُحْــدَث، وذلــك لتثبتنا من الزمن الذي ظهرت فيه، وهو عصر الانحطاط المتَّفَق علــى حداثتــه، وأكثر الألفاظ المُحْدَثة هي الفارسية أو التركية أو الكردية، وكلّهــا إدارية مــن اصطلاحات الحكومة مثل : السنجقدار [١] والجمدار [٢] والطبر دار [٣] .

وعلى هذا الوجه استقرت المصطلحات والمفاهيم العلمية للدخيل والمعرَّب والمولَّد والمُحْدَث على ألسنة علماء اللغة وأقلامهم بوصــفها ترجمــة لظــاهرة الاقتراض اللغوي وهي ظاهرة شائعة في اللغات المعروفة.

---

(١) السنجقدار: الذي يحمل السنجق وهو العلم (فارسية).
(٢) الجمدار: الذي يُلْبِس السلطان ثيابه (فارسية).
(٣) الطبردار: الذي يحمل الطبر وهو سلاح (فارسية).

المبحث الثاني

القرآن الكريم والدَّخيل

نزل القرآن الكريم بلغة عربية تتجلّى فيها أفصح اللهجات وأعلاها، وكانت هذه اللغة المتخيّرة المتمثلة لخصائص العربية في بواديها وحواضرها وقبائلها قد توحّدت عند نزول القرآن، وكان من إعجازه أن جاءهم بأفصح ما انتهت إليه لغات العرب جميعاً، وقال أبو عبيدة: " إنما نزل القرآن بلسان عربي مبين"، وتصديق ذلك في آية من القرآن: (بلسان عربي مبين) (١)، وفي آية أخرى (وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه ليبيِّن لهم) (٢)، ولم يحتج السلف، ولا الذين أدركوا وجهه إلى أن يسألوا النبي عن معانيه، وعمَّا فيه ممَّا في كلام العرب مثله في الوجوه والتلخيص، وفي القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الإعراب، ومن الغريب والمعاني" (٣). وكان الصحابة -رضوان الله عليهم- يسمّون فهم هذا الغريب "إعراب القرآن"، لأنهم يستبينون معانيه ويخلصونها.

وقد أدرك العلماء في العصر الإسلامي الأول علاقة الألفاظ باللغة والقرآن والحديث، وحظيت لغة القرآن الكريم بعناية كبيرة من علماء العربية، وكانت غايتهم خدمة القرآن الكريم، وسلامة ألفاظه من اللحن الذي بدأ يتسرب فيها من ألسنة الأعاجم الذين دخلوا في الدين الجديد، ونتيجة لهذه العناية نشأت الدراسات اللغوية، واتسعت وتفرّعت إلى علوم متعددة، استقلَّ كلٌّ منها فيما بعد، وصار عِلْماً متميزاً من العلوم الأخرى.

---

(١) الشعراء : ١٩٥ .

(٢) إبراهيم : ٤٠ .

(٣) مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق د. فؤاد سزكين، القاهرة، ١٩٥٤، ج١ ص:٨.

ومن بين العلوم التي تفرَّعت من علوم اللغة العربية دراسة المعرَّبات، وكان دافع الغيرة على لغة القرآن هو الذي دفع العلماء إلى معرفة المعرَّبات، خشية أن تلتبس بالكلام العربي في الاشتقاق.

ووجد علماء العربية أنفسهم أمام ألفاظ ما هي بالعربية الصريحة، وربَّما كانت وقعت لهم معرفتها من لغة أخرى ألمُّوا بها فامتثل أمامهم ذلك السؤال الكبير: هل في القرآن الكريم كلام أعجمي؟ ولا تزال الإجابة محلَّ أخذ ورد إلى اليوم. فقد اختلفوا في مسألة وجود الألفاظ المعرَّبة في القرآن الكريم، وليس في خلافهم هذا تناقض مع ما أقرُّوه من وجود المعرَّبات في اللغة، فمسألة وجود المعرَّبات في القرآن يعني كذلك وجودها في اللغة، لكنّ إنكار وجودها في القرآن لا يعني قطعاً إنكار وجودها في اللغة. وتحدّث علماء التفسير عن المعرَّبات ضمن ما أثير من جدل في مسألة وجودها في القرآن الكريم، وعدم وجودها، وكانوا يشيرون إلى الألفاظ المعرَّبة التي وردت في الآيات الكريمة عند تفسيرهم لهذه الآيات في مواضعها من مصنفاتهم، وربما نقلوا لنا آراء العلماء، ووجهات نظرهم فيها، وقد يذكرون من أية لغة أخذَت، وربما ذكروا لنا شواهد عليها.

وقد عدَّ العلماء من غير لغات العرب أكثر من مائة لفظة، ترجع إلى لغات الفرس والروم والنبط والحبشة والبربر والسريان والعبران والقبط، وهي كلمات أخرجتها العرب على أوزان لغتها، وأجرتها في فصيحها، فصارت بذلك عربية (١).

وقال أبو حاتم الرازي في باب "الأسماء الأعجمية في القرآن" "فمنها ما هي قديمة في كلام العرب، اشتقاقاتها معروفة، ومنها أسام دلّ عليها النبيﷺ في هذه الشريعة، ونزل بها القرآن، فصارت أصولاً في الدين وفروعاً في الشريعة، لم تكن تعرفها من قبل ذلك، وهي مشتقة من ألفاظ العرب، وأسام جاءت في القرآن

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٣، ص:٧٤.

لم تكن العرب تعرفها، ولا غيرهم من الأمم مثل: تسنيم[٢]، وسلسبيل[٣]، وغسلين[٤]، وسجين [٥]، والرَّقيم[٦]، وغير ذلك" [٧].

وراح العلماء يبحثون في هذه الألفاظ ليتحققوا أعربيّة هي أم أعجمية؟ وكانت لهم في ذلك آراء مختلفة، مدركين صلة الدراسات اللغوية بالقرآن الكريم وعلوم الدين. وبسط الجواليقي آراء أولئك العلماء الذين اختلفوا بوقوع الكلام الأعجمي في القرآن، وقال: " فأمّا ما ورد في القرآن فقد اختلف فيه أهل العلم، فقال بعضهم: كتاب الله تعالى ليس فيه شيء من غير العربيّة" ، وأورد قول أبي عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى: " من زعم أنّ في القرآن لساناً سوى العربية فقد أعظم على الله القول. واحتج بقول تعالى: (إنّا جعلنان قرآناً عربيّاً) [١]. وذهب مذهب أبي عبيدة عدد من العلماء منهم الشافعي والقاضي أبو بكر الباقلاني وغيرهما. لكن بعضهم الآخر خالف هذا الرأي وقال باشتمال القرآن على كلمات أعجمية، ونقل الجواليقي ما قاله أبو عبيد القاسم بن سَلاَّم يرد به على شيخه أبي عبيدة: " وروي عن ابن عبّاس ومجاهد وعِكْرِمَة وغيرهم في أحرف كثيرة: أنَّه من غير لسان العرب، مثل :" سجيّل والمشكاة واليم والطور وأباريق واستبرق" وغير ذلك. فهؤلاء أعلم بالتأويل من أبي عبيدة، ولكنهم ذهبوا إلى مذهب، وذهب هذا إلى غيره".

---

(٢) المطففين: ٢٨، وتسنيم: عين في الجنة، وتسنّم الشيء: علاه. انظر اللسان مادة (سنم).
(٣) الدهر : ١٨ ، والسلسبيل : السهل المدخل في الحلق، وانظر : المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، الجواليقي، ط٣، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥ ، ص ١٨٩ .
(٤) الحاقة : ٣٦ ، والغسلين : صديد أهل النار .
(٥) المطففين : ٧،٨ ، وسجين : المحل الضيق ، وقيل هو أسفل الأرض السابعة .
(٦) الكهف :٩ ، والرقيم : الكتاب الذي قد رقمت فيه أسماء أهل الكهف وقصتهم .
(٧) الزينة في الكلمات الإسلامية، الرازي، دار الكتاب العربي، مصر ١٩٥٧، ج١، ص:١٤١.
(١) الزخرف : ٣ .

أما الجواليقي فقد حاول التوفيق بين المذهبين، وقال: "وكلاهما مصيبٌ إن شاء الله تعالى، وذلك أن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل، فقال أولئك على الأصل، ثم لفظت به العرب بألسنتها، فعرَّبته، فصار عربياً بتعريبها إيَّاه، فهي عربية في هذه الحال، أعجمية الأصل، فهذا القول يُصَدِّق الفريقين جميعاً"(٢).

وإلى مثل ذلك يذهب السيوطي ويلخص اختلاف أهل العلم في هذا الموضوع بقوله: " واختلفت الأئمة في وقوع المعرّب في القرآن، فالأكثرون ومنهم الإمام الشافعي وابن جرير وأبو عبيدة والقاضي أبو بكر وابن فارس على عدم وقوعه فيه" ثم قال: " وذهب آخرون إلى وقوعه فيه ". وأضاف: " وأقوى ما رأيته للوقوع وهو اختياري، ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة التابعي الجليل قال: في القرآن من كل لسان، وروي مثله عن سعيد بن جبير ووهب بن منبه... ثم رأيت ابن النقيب صرّح بذلك فقال: من خصائص القرآن على سائر الكتب المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم ولم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير" (١).

وهذا الخلاف معروف قديماً عند علماء الأصول وغيرهم. قال أبو منصور الأزهري اللغوي: " إنّ الاسم قد يكون أعجمياً فتعربه العرب فيصير عربيَّاً " (٢). والقول الذي اختاره الجواليقي تقليداً لأبي عبيد والأزهري وغيرهما، وجعله مصدِّقاً للفريقين جميعاً، اختاره كثيرٌ من علماء الأصول، ومن علماء اللغة، ممَّن

---

(٢) المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، الجواليقي، ط٣، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥ ، ص ٤،٥ .

(١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ١٦٨، وانظر المزهر في علوم اللغة للسيوطي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ، ج١، ص ١٣٦ .

(٢) التفسير الكبير ، الرازي ، ط١، المطبعة العصرية بمصر ١٩٣٣، ج٦/ص ٦٥٨.

قبله وممَّن بعده، ومن هؤلاء حجة الإسلام الإمام الغزالي والإمـام مسـلم وابـن فارس، ويحتج هذا الفريق بتوجيه الآيات إعظاماً لما روي عن بعض الأقدمين في ألفاظ قرآنية أنّها معرَّبة، وتوفيقاً بين المذهبين حاولوا. أمّا الاتجاه الأول فيـذهب إلى الاحتجاج على عدم الوقوع بالآيات الكريمة التي تنص على عربيّته صراحة، أو باتفاق توارد الوقوع في اللغات، أو باتساع لغة العرب بحيث لا يحيط بهـا إلا نبيّ، وأصحاب هذا الاتجاه يقولون بأنْ " ليس في كتاب الله شيء إلاَّ بلسان العرب "، وهؤلاء يمثِّلون كثيراً من أهل العلم المتقدِّمين الذين لم يكن ليخفى علـيهم أنَّ الكلمة إذا أخذها العرب من غيرهم، وصاغوها على أوزان حروفهم، ودارت فـي أشداقهم، ومرنت عليها ألسنتهم، أنَّها صارت من لغتهم، بالنقل والاقتباس، وهـم ذهبوا إلى معنى أعلى، وفقه في اللغة والقرآن أسمى. ذهبوا إلى أنّ هذا الكتـاب المعجز جاء حافظاً لغتهم، موحَّداً لما اختلف من لهجاتهم، جامعاً ما تفرَّقـت بـه ألسنة القبائل، على أفصح اللهجات، وأبين الألسنة، وأنقى الألفاظ، وهم يرون أنَّ هذا القرآن، وقد امتنَّ الله فيه على العرب، بأنه عربي في آيات متكاثرة متواترة، وهذا المقصد من لغة العرب من مقاصده، لا يعقل أن تكون كلمة مـن كلماتـه – حاشا الأعلام – دخيلة على لغة العرب. ومن هؤلاء العلماء الإمـام الشـافعي – رضي الله عنه – فهو يقول: " ... فالواجب على العالِمين أن لا يقولـوا إلاَّ مـن حيث علموا. وقد تكلَّم في العلم مَنْ لو أمسك عن بعض ما تكلَّم فيه لكان الإمساك أولى به، وأقرب من السلامة له، إن شاء الله. فقال منهم قائل: إنَّ فـي القـرآن عربيّاً وأعجميَّاً. والقرآن يدلُّ على أن ليس من كتاب الله شيء إلاَّ بلسان العرب. ووجد قائلُ هذا القول مَنْ قبِل ذلك منه، تقليداً له، وتركاً للمسألة له عن حجتـه، ومسألة غيره ممَّن خالفه، وبالتقليد أغفل من أغفل منهم، والله يغفر لنـا ولهـم. ولعلَّ من قال إنَّ في القرآن غيرَ لسان العرب، وقبل ذلك منه، ذهب إلى أنَّ مـن

القرآن خاصًّاً يجهل بعضَه بعضُ العرب. ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً. ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي " (١).

وإنّ مَنْ ذهب مذهب الشافعي يرى أنّ العرب أمة من أقدم الأمم، ولغتها من أقدم اللغات وجوداً، كانت قبل إبراهيم وإسماعيل، وقبل الكلدانية والعبرية والسريانية والفارسية، وقد ذهب الشيء الكثير بذهاب مدنيتهم الأولى قبل التاريخ، وهم يعتقدون أنّ الألفاظ القرآنية التي يُظَنّ أنَّ أصلها ليس من لسان العرب، ولا يُعْرَف مصدر اشتقاقها، لعلَّها من بعض ما فُقِد أصله وبقي الحرفُ وحدَه، ثم تزيَّد بعض العلماء المتأخرين وتكاثروا في ادِّعاء العجمة لألفاظ من حروف القرآن، وكلَّما رأى أحد كلمة فيها شبهة رأى في عجمتها، جمعوها إلى ما عندهم، حتى ألَّف بعضهم في ذلك كتباً (٢).

وأمّا الفريق الثاني فيحتج بتوجيه الآيات إلى معنى آخر كقولهم إنَّ الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربيّاً، ومن علماء هذا الفريق مَنْ وضع مصنّفات في " المعرّب والدخيل في القرآن الكريم "، مثل السيوطي الذي صنّف كتابين في هذا الفن، أحدهما: " المتوكِّلي فيما وقع في القرآن الكريم من المعرَّب "، والآخر " المهذَّب فيما وقع في القرآن الكريم من المعرّب ". ولم يتعدَّ السيوطي فيهما ما ساقه في كتبه الأخرى كالإتقان في علوم القرآن، والمزهر في علوم اللغة العربية، وتنوير الحالك في شرح موّطأ الإمام مالك، من الألفاظ الأعجمية الأصل كما تداولها المتقدِّمون وتناولتها كتب اللغة، وإن وجَّه عناية خاصة في "المتوكِّلي" إلى ما دخل العربيَّة من الحبشيَّة.

---

(١) كتاب الرسالة، الشافعي، تحقيق : أحمد شاكر، ط، البابي الحلبي بمصر ، ١٩٤٠، ص : ٤١-٤٥ .

(٢) مفتاح السعادة، طاش كبري زادة، ط حيدر آباد الدكن ١٣٢٨هـ (٢/٢٦٩-٢٧١).

وإذا ما أخذنا هذه الجهود اللغوية بمعايير البحث العلمي في ظاهرة الدّخيل. أو بمعايير الدراسة اللغوية للنصوص نجد أنَّها لا تكاد تتعدَّى الإطار النظري الذي يرمي إلى الدفاع عن قضيّة أخرى لا يشكل الدَّخيل فيها أكثر من طرف ثانوي عارض، محور تلك القضيَّة في الأصل هو خدمة النص القرآني. أمَّا التوقف عند الدَّخيل فيتحدَّد بمدى ما لعلاقة الدَّخيل بكلم القرآن الكريم من أهميّة، لا باعتباره يشكل موضوعاً قائماً بذاته ينعقد عليه البحث.

لقد كان فضل القرآن الكريم عظيماً على اللغة العربيَّة، إذ دعا الباحثين وعلماء اللغة إلى العناية بلغته، واجتهدوا بتحديد معاني ألفاظه، وتفسير آياته، وتعلُّم ضروب البلاغة من إعجازه وفصاحته. وكان القرآن الكريم معجزة هذه الأمة وحضارتها: بلاغة وبياناً وتصويراً معجزاً للدنيا والآخرة، كما كان أساساً يعتمدون عليه ويحتكمون إليه في دراسة العربية وعلومها فيما بعد. ومن هنا أكثروا من تدارسه وتدبره وشرحه إكثاراً يكاد ما وصلنا منه يصعب حصره. وكانت الأسباب الداعية إلى ذلك تتعزز وتقوى بمضي الزمن كاشفة جوانب جديدة من عظمة كتاب الله وأسراره اللغوية، حتى كوَّنت ما سمي فيما بعد بـ "علوم القرآن "، والتي تبرز الملامح الأولى لحركة التأليف في غريب القرآن، ومعانيه، ولغاته، ومجازه، وإعرابه، وغير ذلك ممّا يخدم النصَّ القرآني لغوياً ودينياً.

وخلاصة القول إن العلماء تواتروا على معالجة الغريب في الألفاظ القرآنية المفردة، ودرسوا الألفاظ غير العربية الأصول، وميّزوها، وهي لم تكن دراسة تاريخية أو مقارنة تنمّ على معرفتهم باللغات الأخرى، بل جلَّ ما أتوا به في هذا السبيل أنهم نسبوا اللفظ إلى الفارسية أو الرومية أو الحبشيّة، دون تبيان المدلول الدقيق له في لغته الأصلية، أو الأصل الذي اشتق منه، وهو أمر غير مستبعد ولا مستغرب لأن هدفهم كان خدمة القرآن باللغة، لا خدمة اللغة ذاتها أو البحث فيها بحثاً صرفاً مجرداً.

المبحث الثالث

مسالك اللغويين العرب في معالجة الألفاظ الدخيلة

انصرفت عناية العرب مبكراً إلى الاهتمام بالألفاظ الأجنبية التي دخلت لغتهم، وكيفية إدخالها أنساق العربية، أو استعمالها فيها، من ذلك ما ذكره المرزباني في الموشح عن الشاعر الطرمَّاح من " أنه كان يكتب ألفاظ النبيط فيعرِّبها ويدخلها في شعره " ، أي يعالجها بحيث تنقاد له في النطق، وتنسجم مع إيقاع الشعر وأوزانه وموسيقاه، لا أن يترجمها، أو يطوف بها على النحاة سائلهم عن قواعد التعريب.

ونشأت العلوم اللغوية عند العرب على السماع والمشافهة، فقد أخذوا المادة اللغوية عن الناطقين بها مباشرة، واشترطوا في جمع اللغة وصحتها السماع من أصحابها، وعلى السماع قُعِّدت القواعد في التعريب ومعالجة الدخيل، وبه قيست لغات القبائل المذمومة ولهجاتها، وعليه انبنى علم التجويد والقراءات، واتخذت بعض معايير الفصاحة، فالسّماع كان المنبع الأول الذي استقى العرب لغتهم منه.

وقد استثار القرآن الكريم ملكات علماء اللغة بأسلوبه البياني الرائع ومعانيه السامية، وشحذ هممهم، واستنهض عزائمهم، ودفعهم إلى تتبع اللغات التي جاء بها، ونشطوا يضعون القواعد العامّة والضوابط لمعرفة الألفاظ الدخيلة، فكان صنيعهم صلة بين اللغة وبين العلوم التي أفرغت عليها من بعد.

وقال أبو حيّان في الارتشاف: " الأسماء الأعجمية على ثلاثة أقسام: قسم غيَّرته العرب وألحقته بكلامها، فحكم أبنيته في اعتبار الأصلي والزائد والوزن، حكم أبنية الأسماء العربية الوضع، نحو درهم، وبَهْرَج، وقسم غيَّرته ولم تلحقه بأبنية كلامها، فلا يعتبر فيه ما يعتبر في القسم الذي قبله، نحو آجرّ وسِفْسِير.

وقسم تركوه غير مغيّر، فما لم يُلْحِقوه بأبنية كلامهم لم يُعَدَّ منها، وما ألحقوه بها عُدَّ منها، مثال الأول خراسان، لا يثبت به فُعَالان، ومثال الثاني خُرَّم، ألحق بسُلَّم، وكُرْكُم ألحق بُقْمقُم " (١) .

فالألفاظ التي دخلت العربية من لغات أخرى، وقيض لها أن تستمر، لحظ علماء اللغة فيها أعراضاً متشابهة من التغيير، أوسمة مطردة انقادت فيها لطبائع العربية في الحذف أو الوزن أو الصوتية أو الإلحاق، فأخضعوها إلى تصنيف متجانس، أو أدرجوها في باب واحد اتخذ دليلاً على عدِّها في الدَّخيل، ثم صار شرطاً لإدخال أمثالها في العربية.

وفي مقدمة ما اعتمد عليه اللغويون القدامى من أدلة معرفة الدخيل: السماع، فاللفظة المسموعة من العرب الأقحاح –وإن تشابهت عليهم– مالوا إلى اعتبارها عربيّة، وراحوا يبحثون عن أصل يشقونها منه. ومن السماع تصريح أئمة اللغة بأن اللفظ فارسي أو رومي أو دخيل أو أعجمي أو معرب، ومثل هذا سماع مرفوع مُسْنَد... ولهم بعد السماع أدلة أخرى تتجه إلى التغيير الذي يجرونه على بنية اللفظ الدَّخيل، والذي حظيت الحروف فيه بالقسط الأكبر من الاهتمام والمعالجة، ثم اتسعوا في التغيير ليشمل الأوزان والأصوات والحركات ممّا يندرج تحت علم الصرف. ومن دواعي اهتمامهم بالحروف أنهم اعتبروا التغيير في بنية اللفظ الأعجمي غالباً، وإبدال الحروف لازماً، وهم يصدرون في هذا الحكم عن بعد نظر وتفطن وحرص على عدم إفساد أصل اللغة وأساسها "أي الحروف" بحروف أعجمية.

إن مظاهر التحريف التي لحقت الكلمات الأعجمية المعرَّبة ترجع إمَّا إلى تحريف في الأصوات، كتبديل حرف أو إسقاطه، أو زيادة بعض الحروف، وإمّا إلى

---

(١) المزهر في علوم اللغة، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرين، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦م : ص : ١/١٣١ .

تحريف في الأوزان، وكثيراً ما كان ينال الكلمة الواحدة جميع هذه التغييرات أو معظمها، وقد وصف الجواليقي طريقة تغير اللفظ المعرَّب بقوله:

" اعلم أنهم كثيراً ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها، فيبدلون الحروف التي ليست من حروفها إلى أقربها مخرجاً، وربما أبدلوا ما بَعُدَ مخرجه أيضاً. والإبدال لازم لئلا يُدْخِلوا في كلامهم ما ليس من حروفهم. وربَّما غيروا البناء من الكلام الفارسي إلى أبنية العرب.

وهذا التغيير يكون بإبدال حرف من حرف، أو زيادة حرف، أو نقصان حرف، أو إبدال حركة بحركة، أو إسكان متحرك، أو تحريك ساكن. وربّما تركوا الحرف على حاله لم يغيّروه" (١).

وقد سمّى الجواليقي هذا المسلك من اللغويين " معرفة مذاهب العرب في استعمال الأعجمي ". وممّا غيروه من الحروف الحرف الفارسي (ك) وربّما جعلوه أيَّ واحد من الحروف الثلاثة: الجيم أو الكاف أو القاف، كقولهم في "كربك" اسم موضع: (كربج، قربق، كربك) (٢). وفي " مرزن كوش ": (مردكوش، مردقُوش، مردجُوش، مرزجُوش)، وهو نوع من الرياحين" (٣).

وغيّروا الهاء إلى جيم نحو: " موزه " يقولون: " موزج" و "بنفشه" يقولون: "بنفسج" (٤). كما يُغَيَّر إلى قاف نحو " استَبْره" يقولون " استَبْرق". وغيّروا الباء إلى فاء نحو "برند وفرند" و "أصبهان وأصفهان"، وهذه الحروف التي ساقها الجواليقي ليبدلوها إلى أقربها من العربية مخرجاً، وتبعه فيها

---

(١) المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، الجواليقي ، ط٣، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٩٤.

(٢) المصدر السابق : ٥٤، ٥٨٨ .

(٣) المصدر السابق : ٣٧٥ .

(٤) الزينة في الكلمات الإسلامية، الرازي، دار الكتاب العربي، مصر ١٩٥٧، ج١ ص ٧٨ .

الخفاجي فسمَّى الحروف العربية التي تحلُّ محلَّها: " الحروف المخلوطة " وهي "الكاف والجيم والقاف والباء والفاء". وإبدالها مطّرد. قال: " وخمسة لا تطرد وهي السين والشين والعين واللام والراء، وكل حرف وافق الحروف العربية. والحاء قد تبدل من الخاء كما في حب وخب..." (١).

وهم يبدلون السين من الشين دون إفصاح عن وجه العجمة في حرف الشين يدعو إلى إبداله، من ذلك قولهم " دست " وهي بالفارسية "دشت" للصحراء، و"سروال" وأصلها بالفارسية "شروال " (٢)ويبدو أن مرّد هذا التغيير إلى خفة السين من الشين وجرسها الألطف وقعاً في السمع، ففضلوها فطرة ومالوا إليها. ويقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: "تخضع في الغالب الكلمات المقتبسة للأساليب الصوتية في اللغة التي اقتبستها، فينالها كثير من التحريف في أصواتها وطريقة نطقها، وتبعد في جميع هذه النواحي عن صورتها القديمة... ومن ثَمّ نرى أن الكلمة الواحدة قد تنتقل من لغة إلى عدة لغات فتتشكل في كلِّ لغة منها بالشكل الذي يتفق مع أساليبها الصوتية حتى لتبدو في كل لغة منها غريبة عن نظائرها في اللغات الأخرى" (٣).

وقد ذكر الجواليقي الوجوه التي يعرف بها اللفظ الدخيل في مقدمة كتابه، وعقد لذلك باباً عنوانه "ما يعرف من المعرّب بائتلاف الحروف" بيّن فيه الضوابط التي وضعها علماء اللغة لمعرفة الدخيل بائتلاف حروفه، فقد يتكوّن من حرفين متنافرين لا يجتمعان في كلام العرب، ومن أمثلة هذا النوع التي أشار إليها في

(١) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، الخفاجي ، مكتبة الحرم الحسيني، القاهرة، ١٩٥٢ ، ص ٤٠ .

(٢) المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، الجواليقي ، ط٣، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٥٥.

(٣) فقه اللغة، وافي، ط ٨، دار نهضة مصر، القاهرة ، ص : ٢٢٩ .

قوله: "لم تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية، فمتى جاءتا في كلمة فاعلم أنها معرّبة، من ذلك جَلوْبَق وجَرندق والجَوْق والقبْجُ ورجل أجْوق...

ولا تجتمع الصاد والجيم في كلمة عربية، من ذلك: الجصّ والصنجة والصَّولجان ونحو ذلك.... ولم يحك أحد من الثقات كلمة عربية مبنية من باء وسين وتاء فإذا جاء ذلك في كلمة فهي دخيل" (١).

وقد يتكون الدَّخيل من حروف تجتمع في كلام العرب غير أنّها تلتزم ترتيباً خاصّاً في تأليفها، وورودها في كلمة بغير هذا الترتيب يدل على أنها دخيل، وقد أشار الجواليقي إلى أمثلة هذا النوع في الباب نفسه، وقال: "وليس في أصول أبنية العرب اسم فيه نون بعدها راء فإذا مرَّ بك ذلك فاعلم أنَّ ذلك الاسم معرَّب نحو: نَرْجس ونَرْس ونَوْرج ونِرسْتان ونَرْجَة.. وليس في كلامهم زايٌ بعد دالٍ إلاَّ دخيل من ذلك الهِنْدازُ والمُهَنْدِزُ وأبدلوا الزاي سيناً فقالوا المهندس..

وأخف الحروف حروف الذَّلاقة وهي ستة: ثلاثة من طرف اللسان وهي الراء والنون واللام. وثلاثة من الشفتين وهي الفاء والباء والميم...

فإذا جاءك مثال خماسي أو رباعي بغير حرف أو حرفين من حروف الذلاقة فاعلم أنه ليس من كلامهم مثل: " عَقْجش" و "حُظَائج " ونحو ذلك.." (٢).

وقال السيوطي: " والجيم والتاء لا تجتمع في كلمة من غير حرف ذو لقي" (٣) .

---

(١) المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، الجواليقي ، ط٣، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ١٠٠ .

(٢) المصدر السابق : ١٠٠ .

(٣) المزهر في علوم اللغة، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرين، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦م : ص : ١/١٧٠ .

وبين الخفاجي فهم العادات الصوتية العربية حين قال: " وليس في كلام العرب شين بعد لام في كلمة عربية " وأضاف "ولا يركب لفظ عربي من باء وسين وتاء. و "بست" لبلدة أعجمي، ولم يجتمع في العربية سين وزاي، ولا سين وذال معجمة" (١).

فهذا الوصف والتعيين جزء من تصنيف رمزي لخصائص الصوتية العربية على ما سمعها العرب، ومارسوها. ولعلَّ مثل هذه الفكرة قد دارت ببال الخليل بن أحمد الفراهيدي عندما بنى معجمه " العين " على أساس صوتي يتعيّن بحصيلته معرفة تراكيب الأصوات الموجودة أو غير الموجودة في العربية.

وبغير هذا الفهم لطبيعة العادات الصوتية العربية لا يمكن أن نجد تعليلاً مقنعاً لتعريبهم ألفاظاً مثل : سِفسير بـ " سمسار " (٢) واسْبست بـ " فِصْفِصَة " (٣)، وارزيز بـ "رصاص" (٤). فالحروف أو الأصوات والصيغ متقاربة في النطق، لكنَّ العربية اختارت أحرفها وصيغها وفق الذوق العربي، أو على ما يرضي السليقة العربية والعادات الصوتية العربية، وليس لأحد أن يدَّعي وجود اطّراد الإبدال هنا مثلاً، ولا خضوع اللغات الأخرى بخصائص أصواتها لأوضاع العربية وقوالبها وأصواتها، لأنَّ العادات الصوتية وليدة الذوق الفردي، وهو بطبيعة الحال لا يحكم بقانون، إنه يصيغ ما اقترضه متأثراً بعوامل عدة يدخل فيها حسن السماع

---

(١) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، الخفاجي ، مكتبة الحرم الحسيني، القاهرة، ١٩٥٢ ، ص ٨ .

(٢) أدب الكاتب، ابن قتيبة ، تح : د.محمد الدالي ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م ، ص : ٣٨٧ .

(٣) المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، الجواليقي ، ط٣، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٢٨٨.

(٤) المزهر في علوم اللغة، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرين، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦م : ص : ٢٨٤/١ .

والتقاط الأصوات، وسلامة أجهزة النطق عند متكلمها قبلاً، ويدخل فيها كَلَفُه بأصوات وصيغ بأعيانها، وربَما دخلت عوامل نفسية ولهجية وطبقية، والحكم أخيراً للمجتمع من حوله بقبول ما يقدمه أو رفضه.

وهكذا يبدو أنه لا مسوِّغ البتة لتلك الحملات المتشددة التي شنّها نفر من الباحثين المحدثين على اللغويين العرب القدماء لأنهم لم ينقلوا الدخيل بحروفه وأوزانه الأعجمية، أو لأنهم لم يعربوه على أذواق هؤلاء المحدثين بل عرَّبوه على سجيتهم، وعلى النحو الذي لا ينأى بهم عمَّا استساغته العربية من أصوات. وهلاّ نظر هؤلاء قبلاً في اللغات الكثيرة التي استعارت من العربية ليروا إن كانت قد تركت الألفاظ العربية سليمة من التحريف والتصحيف والحذف والإبدال أم أجرت عليها من التغيير ما يسلكها في منظومتها اللغوية ويكسوها بطابعها الخاص؟!.

إن الوقوف على بعض الحقائق اللغوية لا يعني طرح حقائق أخرى أو إغفالها، ومعرفة هؤلاء باللغات الأخرى لا تنكر، وتصرف العرب بالدَّخيل تصرفاً أفقده معالمه أحياناً أمرٌ لا ينكر أيضاً، لكن للعرب في كلامها علامات نحوية وصوتية ليست لسائر اللغات فيها حظ ولا نصيب، " بل خصت هذه اللغة بأن أنشأ الله لها قوماً فتحوا لها هذه الأبواب من " النحو " وجعلوا ذلك معياراً للكلام، وهم يقوّمونه إذا اعوج، ويحفظونه إذا مال" (١).

أمّا ترك الدَّخيل يفد إلى العربية بأصواته وملامحه وخصائصه فقضية قد تكون مطلباً علمياً عند نفر من الباحثين كي يتمكن من توثيقه وتأصيله، ولكن المطلب العلمي بالمقابل أن تحافظ العربية على طابعها، وألاّ تقبل في أنساقها

---

(١) الزينة في الكلمات الإسلامية، الرازي، دار الكتاب العربي، مصر ١٩٥٧، ج٢ ، ص : ٧٧، ٧٨، ٧٩ .

خصائص لغات مختلفة تفقدها شخصيتها، وبتعبير آخر، أن تتحاشى الآثار السلبية الخطرة التي يمكن أن يسببها ذلك الدخيل [١].

أمام هذا لم يكن لعلماء العربية مفر من التشدد في المحافظة على العادات الصوتية العربية بعدما لمسوه من اختلاف اللغات وما يمكن أن يتركه هذا الاختلاف من الفساد في بنية اللغة، وقال الدكتور أحمد مختار عمر: " وقد لاحظ الخليل أنّ اللغات تختلف في ذلك (في ائتلاف الحروف وبناء الكلمة)، وما قد يتلاءم مع أمّة لا يتلاءم مع أمّة أخرى. وقد لاحظ أيضاً أن الأذن العربية قد تستسيغ أصواتاً معينة لا تستسيغها غيرها، وأنّ اللسان العربي قد ينطق بتركيب خاص لا ينطق به لسان غيره، وأن العرب كانوا يأبون تأليفاً خاصًّا من الكلمات لا يأباه غيرهم، مثل إبائهم اجتماع واوين أول الكلمة، والابتداء بساكن، واجتماع حرفين ساكنين" [٢].

وما ملاحظات الخليل هذه إلاّ نتيجة استقراء دقيق لطبيعة النظام الصوتي للغة العربية بالقياس إلى اللغات الأجنبية التي احتكت بها، وفرز للخصائص الصوتية والنطقية عند العرب عنها عند الأقوام الأخرى.

ولا شك أن مذهب العرب في تعريب الأسماء والألفاظ الأعجمية هو تغييرهم لكل لفظة كانت حروفها -كلها- أعجمية. فما رفضوا قبوله في العربية هو الحرف الأعجمي، أو الصوت الأعجمي، وقال سيبويه "فالبدل مطرد في كل حرف ليس من حروفهم " [٣]. ثم بعد هذا تكون الخطوة التالية بإلحاق الألفاظ

---

(١) أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، مسعود بوبو، مطابع وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٢م، ص:٤٠ .

(٢) البحث اللغوي عند العرب، د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٨م ، ص: ٨٩.

(٣) الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥م ، ٣٠٣/٤ .

بأبنيتهم وهو المسلك الغالب، أو تركها غير مطردة في تلك الأبنية، وهو قليل نسبياً، أي اشترطوا في الدّخيل أن ينطق بأصوات عربية خالصة تمثل مادة بناء الألفاظ، ولم يشترطوا في الصيغ أن تكون عربية الأوزان دائماً. وقال سيبويه: "اعلم أنهم ممّا يغيّرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم البتة، فربما ألحقوه ببناء كلامهم، وربما لم يلحقوه "(١). فكان إلحاق الشكل مبنياً على فكرة إلحاق المادة الأساسية، أي الحروف، ولذا قال سيبويه على الأعجمي: " لما أرادوا أن يعربوه ألحقوه ببناء كلامهم، كما يلحقون الحروف بالحروف العربية"(٢). وأبدلوا الحروف لأنها محدودة معدودة ألفها اللسان، وليست الأبنية كذلك، فسوّغ لهم هذا أن يبدلوا الحروف.

ويصف سيبويه ما يجري على اللفظ الأعجمي حين يلحق بالأبنية العربية فيقول: " وربَّما غيروا حاله عن حاله في الأعجمية مع إلحاقهم بالعربية غير الحروف العربية، فأبدلوا مكان الحرف الذي هو للعرب عربيَّاً غيره، وغيروا الحركة وأبدلوا مكان الزيادة، ولا يبلغون به بناء كلامهم لأنه أعجمي الأصل، فلا تبلغ قوته عندهم إلى أن يبلغ بناءهم، وإنما دعاهم إلى ذلك أنَّ الأعجمية يغيّرها دخول العربية بإبدال حروفها، فحملهم هذا التغيير على أن يبدلوا .."(٣).

فتغيير حال الأعجمي أو شكله عمَّا كان عليه في لغته الأصلية نتيجة بدهية لإلحاقهم بالعربية غير الحروف العربية ولإبدالهم -أحياناً الحرف الذي هو للعرب عربياً غيره لينسجم مع العادات الصوتية العربية، زد على ذلك ما يحصل من تغير للحركات وإبدال لأمكنة الزيادة. وقد يجرون هذا التصرف – من الإبدال والحذف والزيادة وتغيير الحركات – على الأعجمي وإن لم يلحقوه بأبنيتهم، لقول

(١) المصدر السابق : ٣٠٣/٤ .
(٢) المصدر السابق : ٣٠٣/٤ .
(٣) المصدر السابق : ٣٠٣/٤ .

سيبويه: " ...وقد فعلوا ذلك بما ألحق ببنائهم وما لم يلحق" وأضاف: " وربما غيروا الحرف الذي ليس من حروفهم ولم يغيروه عن بنائه في الفارسية نحو: فرند، وبقمّ، وآجُرّ، وجُرْبُز" (١).

ولكن هذا التصرف بالأعجمي على مختلف وجوهه، لا يبلغه من القوة في بنائه ما للأبنية العربية، بل يبقى له عرفه الأعجمي، وربما -بعد هذا كله- تركوا الاسم على حاله إذا كانت حروفه من حروفهم، نحو" خراسان، وخُرَّم، والكركم (٢).

ويلحظ في أحكام اللغويين المتقدمين محاولة وصفيَّة لتعريب العرب للألفاظ الأعجمية وأصواتها أو لتهذيبها وتقريبها من نطقهم ولغتهم، ثم فرز ما كان موافقاً للعربية لسلكه في قواعدها، وما لم يكن موافقاً ليمنع من الصرف، أو ليعفى من خضوعه لتلك القواعد. كما يتضح من نصوصهم أن الإلحاق اختياري، ولكنه غالب، وهذا التغليب يعني إدناء الأعجمي من الأوزان العربية، وعلى الأخص عندما تتعدد صيغه أو لغاته، فالتعريب -في هذه الحال- أولى به. وما كان علماً في لغته نظروا إلى التغيير في لفظه أكثر ممّا نظروا إلى الإلحاق، فقد نقل السيوطي عن بعض العلماء أن: " ما عربته العرب من اللغات من فارسي ورومي وحبشي وغيره، وأدخلته في كلامها على ضربين: أحدهما: أسماء الأجناس كالفرند والأبريسم...

والثاني: ما كان في تلك اللغات علماً فأجروه على علميته كما كان، لكنّهم غيَّروا لفظه، وقرّبوه من ألفاظهم، وربَّما ألحقوه بأمثلتهم، وربَّما لم يلحقوه، ويشاركه الضرب الأول في الحكم.." (٣).

(١) المصدر السابق : ٣٠٣/٤ .
(٢) المصدر السابق : ٣٠٣/٤ .
(٣) المزهر في علوم اللغة، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرين، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦م ص : ٢٨٦/١-٢٨٧ .

ويظهر واضحاً أنّ أمرين أساسيين شغلا بال العلماء في قضية دخول الأعجمي لغتهم العربية: الإلحاق والتغيير، وأنّ التغيير كان أعمَّ وأشمل، لكن الإلحاق حظي باهتمام أكبر من اللغويين والنحاة، لما يمثله من وجوه الاتساع في المادّة الصالحة لإقامة القواعد في المشتقات بأنواعها، وفي النسب والتصغير، وتصنيف المادة اللغوية على ما يوافق قواعد العربية، وأن الجانب الصوتي بقي أساساً في التغيير والإلحاق، وعدّ الدّخيل في أبنية العرب لا يعني أنه صار عربيّاً حقيقة، وإنّما عُدَّ في العربية من الناحية الصوتية فلحق بأوزانها، ومن الناحية النطقية فأمكن لفظه بيسر وسهولة، وذكر سيبويه ما ألحق ببناء " فاعول" (١)، نحو: القاشور " الذي يجئ في آخر الحلبة "، والناموس " قترة الصائدة "، والحابول " الحبل الذي يُصْعَد به النخل ". وكان مسلك اللغويين في الإلحاق بهذا البناء الإبقاء على صوتية اللفظ الدخيل قدر الإمكان، فقالوا في "كابور" : كافور(٢)، وفي " اناقوشا" : ناقوس (٣)، وفي "ياكينثوس (٤)": ياقوت. واتضح أن تلفظهم بما جاء على بناء " فاعول " أدى باللفظ الدخيل إلى الإبدال الصوتي والاختصار من أصوات العربية أو بعده عنها.

(١) الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥م ، ٣٠٣/٤ . ، وانظر : المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، الجواليقي ، ط٣، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٦٩ .

(٢) الكافور: اسم لصمغ، شجرة هندية، انظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ١٣٧.

(٣) الناقوس: جرس يضرب به لدعوة النصارى إلى الكنائس. انظر الألفاظ السريانية في المعاجم العربية:١٦٦.

(٤) ياقوت: حجر كريم، انظر فقه اللغة للثعالبي: ٣١٧، والجماهير في معرفة الجواهر للبيروني:٣٣.

وثمة ألفاظ دخيلة عُرِّبت على ما يوافق أوزان أفعال عربية نحو استبرق: "استعبد"، ويلمق [١] " يلمع" ورهوج: " هرول "، ونرجس : " نرمي " ونرمق: "نرضى ونرحل ".

وإذا كان الجانب الصوتي هو المحور الأساسي الذي يتحكم في مسلك نقل الدّخيل أو تعريبه اتضح لنا منه مظهران:

الأول: يرضي المنزع العلمي عند النحاة بكونه ملحقاً بأبنية عربية معروفة منقاسة، وصالحاً لأن يسلك في جملة القواعد ببعض صور الاطراد.

والثاني: ارتضاه النَّقَلَة من الناس بصوتيته القريبة من الأبنية العربية على وجه من الوجوه المألوفة على مسامعهم. وكلّ ذلك مبني على أساس صوتي أصلاً ومسلكاً. وما لم يكن هذا شأنه اعتبر -في معايير النحاة- ارتجالاً بنته العرب، وقال سيبويه: "وممَّا بنت العرب من الأسماء والصفات والأفعال وزن " أُفعُلَّة " وهو قليل، نحو: أُسْكُفَّة، وأُتْرجّ، وأُسْطُمَّة، وهي أسماء" [٢].

ولا يقصد بالبناء هنا الإنشاء أو الابتكار، وإنما يعني أن البناء كان مصاغاً بالنطق العربي على هذا الوجه، بصرف النظر عن نطقه الأعجمي.

ولا شك أنّ اللغويين القدماء لم يولوا أهمية كبيرة للدّخيل من حيث صيغته توسُّلاً إلى معرفته، وإنَّما أولوه أهمية قصوى من حيث ترويضه وتطويعه على قبول الانقياد للصيغ العربية والاطّراد معها. وهذا أمر يمكن تتبعه في القواعد العربية بعامَّة، لكنَّ المهمّ هنا ألاّ يعوَّل على شذوذ الصيغة وحده في معرفة الدخيل من غير امتحانها في النسب والتصغير والجمع والمشتقات حتى يكون قبولها لأساليب العربية في ذلك أو نفورها منه أمراً مرجحاً لفرز الدخيل من الأصيل.

---

(١) الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥م ، ٢٥٦/٤ ، قال سيبويه : إن أصلها " لمق " والياء زائدة .

(٢) المصدر السابق : ٢٤٧/٣ ، والأسكفة : عتبة الباب، انظر : الألفاظ السريانية : ١٧٢ .

ويتلخص منهج تعريب الألفاظ المنقولة في ضوء أقــوال علمــاء اللغــة، بتبديل الأصوات التي ليست من أصوات العرب إلى أقربها مخرجها لئلا يدخل في كلامهم ما ليس في أصواتهم، أو بتغيير بناء الكلمة المقترضة إلى أبنية العربيَّة، أو بترك اللفظ الأعجمي على حاله إذا كان موافقاً لأحكــام اللفــظ العربــي فــي الأصوات والصيغ أو بنية الكلمات. وقد دخل العربية قدر لا يستهان به من الألفاظ التي لم تأتلف مع طبيعة اللغة العربية، ولكنهم قلبوها إلــى كلامهــم كمــا ذكــر الجواليقي، وقال: " الرَّنفليجة، ويقال: الزنفيلجة والزنفالجة: أعجمي معرّب –قال الأصمعي– سمعتها من الأعراب. قال أبوحاتم: وسمعتها من أم الهيــثم وغيرهــا سهلاً في كلامهم، كأنهم قلبوها إلى كلامهم. قال الأصمعي وهي بالفارسية: " زين فاله " وهي دعاء "(١).

والملاحظ أن غرابة هذه الأبنية وبعدها عن العربية يزداد بتقدم الــزمن، وبالبعد عن عصور العرب الخلّص، ويرجع الأمر في ذلك إلى ضــعف الفصــاحة العربية الناجم عن كثرة التوليد والاقتراض وعدم التشدد فــي المحافظــة علــى مذاهب السلف في التعريب والتقعيد.

---

(١) المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، الجواليقي ، ط٣، دار الكتب المصــرية، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٢١٨ .

نتائج الدراسة:

<u>إنّ النتائج التي يمكن أن نستنتجها من هذه الدراسة تتلخص في النقاط التالية:</u>

١ - انتهت الدراسة إلى أنَّ ظاهرة الاقتراض اللغوي أصبحت حقيقة لا يمكن إغفالها، وأن اقتراض العربية من اللغات الأخرى المسمّيات المتصلة بالأمور المادية والصناعية مسألة تفسر في ضوء طبيعة حياتهم الناقصة حضارياً لا طبيعة لغتهم الناقصة دلالياً أو تركيباً وبنية.

٢ - ألقت الدراسة الضوء على جهود اللغويين العرب القدماء في معالجة ظاهرة الاقتراض اللغوي وتحقيق الألفاظ الدخيلة، والأدلة التي اعتمدوا عليها لتمييز الأصيل من الدخيل، ومحاولة ترويض الدخيل وتطويعه على قبول الانقياد للصيغ العربية والاطراد معها.

٣ - أكدّت هذه الدراسة أن ما تناقله اللغويون العرب القدماء في الكتب التي وضعوها في " المعرّب والدّخيل " حول البدائل الصوتية العربية لما لا نظير له من الأعجمي عندهم، وما سنوه من أحكام حول الاشتقاق والإلحاق بالصيغ والأوزان العربية، يُعَدُّ ذلك كله أحكاماً ما تزال مراجع أساسية للمحدثين بما تضمنته من نتائج قيمة مستنبطة من الملاحظة المتأتية والخبرة الطويلة بدقائق العربية ومزاياها.

٤ - ميّزت الدراسة بين أنّواع الدَّخيل، وحددت الفروق بين مصطلحات الدَّخيل والمعرَّب والمولَّد والمُحْدَث، وعرّضت ما ورد من مفاهيم حولها في المعاجم العربية القديمة والمتأخرة، وفي الكتب المصنفة في هذه الظاهرة، في النظرية والتطبيق، وانتهت إلى أنّ مصطلح "الدّخيل" أعم وأشمل من الأنواع الأخرى التي تندرج تحته.

٥ – رصدت الدراسة آراء العلماء في مسألة وجود الدخيل في القرآن الكريم بين مؤيد ومعارض، وساقت حجج الفريقين وأدلـتهم بالحَيْـدَة والموضـوعية، وانتهت إلى أنّ خلافهم في وجود المعرّبات في القرآن لا يتناقض مـع مـا أقروه من وجود المعرّبات في اللغة، مدركين صلة الدراسات اللغوية بالقرآن الكريم وعلوم الدين.

٦ – أبرزت الدراسة أن اللغويين العرب الذي توافروا على دراسة الألفـاظ غيـر العربية الأصول، ومعالجة الغريب في الألفاظ القرآنية المفردة، كانوا يهدفون إلى خدمة النص القرآني لغوياً ودينياً، وخدمة القرآن باللغة، لا خدمة اللغـة ذاتها أو البحث فيها بحثاً صرفاً مجرداً.

٧ – أشارت الدراسة إلى أن الجانب الصوتي كان المحور الأساسي الذي يـتحكم في مسلك نقل الدّخيل أو تعريبه، لأنه يرضي المَنْزَع العلمي عند النحاة لكونه ملحقاً بأبنية عربية معروفة منقاسة، وصالحاً لأن يسلك في جملـة القواعـد ببعض صور الاطراد. ولأنّ النَّقَلَة من الناس ارتضوه بصوتيته القريبة مـن الأبنية العربية على وجه من الوجوه المألوفة على مسامعهم.

المصادر والمراجع:

- أبو منصور الجواليقي وآثاره في اللغة، د.عبد المنعم أحمد التكريتي، دار بغداد، الرسالة، ١٩٧٩م.
- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، بيروت، طبعة القاهرة ١٩٦٨، وطبعة دار الفكر، ١٩٩٦م.
- أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، د.مسعود بوبو، دمشق، مطابع وزارة الثقافة، ١٩٨٢م.
- أدب الكاتب، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق د. محمد الدالي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م.
- الأصوات اللغوية ،د.إبراهيم أنيس، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٨١م.
- البحث اللغوي عند العرب ، د.أحمد مختار عمر ، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٨م.
- البيان والتبيين، الجاحظ عمرو بن بحر، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٥٠م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، الكويت، نشر وزارة الإرشاد، ١٩٦٥م.
- تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٧٨م.
- التفسير الكبير، الفخر الرازي، التفسير الكبير، مصر، ط١، المطبعة العصرية، ١٩٣٣م.

- جمهرة اللغة، ابن دريد ، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.
- الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار،القاهرة، دار الكتب، ١٩٥٢م.
- دراسات في فقه اللغة ، صبحي الصالح، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٨.
- الزينة في الكلمات الإسلامية ، أبو حاتم الرازي، تحقيق د. حسين الهمداني، دار مصر، الكتاب العربي، ١٩٥٧م.
- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، الشهاب الخفاجي، القاهرة، مكتبة الحرم الحسيني، ١٩٥٢م.
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس اللغوي، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة، ١٩٧٧م.
- فصول في فقه اللغة، د.رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م.
- فقه اللغة، د.علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، القاهرة، ط ٨، دار نهضة مصر.
- الكتاب ،سيبويه،تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م.
- كتاب الرسالة ، الشافعي ، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، القاهرة، مكتبة البابي الحلبي، ١٩٤٠م.
- كلام العرب من قضايا اللغة العربية، حسن ظاظا، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١م.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق د. فؤاد سزكين، القاهرة، ١٩٥٤م.

- المزهر في علوم اللغة، السيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخــرين، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٨٦م.
- المصطلحات العلمية في اللغة العربية، مصطفى الشهابي، القاهرة، ١٩٥٥م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس اللغوي، تحقيق عبــد الســلام هــارون، مصر، البابي الحلبي، ط٢، ١٩٦٩م.
- المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، الجواليقي، تحقيــق الشــيخ أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط٣، ١٩٩٥م.
- مفتاح السعادة، طاش كبري زاده، ط حيدر آباد الدكن، ١٣٢٨هـــ.
- الموشح، المرزباني، دار صادر، بيروت، ص ١٨٧.
- لسان العرب، ابن منظور ، بيروت، دار صادر.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	رقم الصفحة
١	المبحث الأول : أقسام الدخيل	١١٨٧
٢	مفهوم الدخيل لغة واصطلاحاً:	١١٨٧
٣	والمولَّد:	١١٩٢
٤	والمُحْدَث:	١١٩٣
٥	المبحث الثاني : القرآن الكريم والدَّخيل	١١٩٤
٦	المبحث الثالث : مسالك اللغويين العرب في معالجة الألفاظ الدخيلة	١٢٠١
٧	نتائج الدراسة:	١٢١٤
٨	المصادر والمراجع:	١٢١٦
٩	فهرس الموضوعات	١٢١٩

تم بحمد الله